جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

صورة البطولة
في شعر دريد بن الصمة

الدكتور
عودة بن سويلم بن علي الشمري
أستاذ الأدب والنقد المساعد قسم اللغة العربية ـ الكلية الجامعية
بالقنفذة ـ جامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية .

العدد الخامس والعشرون
للعام ١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م
الجزء الثالث عشر
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢١م
الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

صورة البطولة في شعر دريد بن الصمة

عودة بن سويلم بن علي الشمري

قسم الأدب والنقد ـ قسم اللغة العربية ـ الكلية الجامعية بالقنفذة ـ جامعة أم القرى ـ المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني : asshamari@uqu.edu.sa

الملخص

طمحت هذه الدراسة إلى تتبع صورة البطولة في شعر دريد بن الصمة، وإبرازها من خلال التقصي الدقيق لمعجم الشاعر الحربي ضمن الحقول الدلالية، ولبيان ذلك جاء البحث في مقدمة اشتملت على التعريف بالشاعر دريد بن الصمة وبعض أخباره، وتحديد مفهوم الصورة الفنية وأهميتها، ثم أخذ البحث في تتبع صورة البطولة في شعر دريد بن الصمة بالوقوف على معجم الشاعر الحربي؛ محاولة لإبراز الصور الفنية وجمالياتها في شعره، وذلك من خلال: صورة الحرب، وصورة البطولة والأبطال، وصورة الربيئة، وصورة الغارة، وصورة السيف، وصورة الرمح، وصورة الدرع، وصورة البيضة، وصورة السهم.

وقد أتت هذه الصور الفنية المستمدة من موضوع البطولة صادقة معبرة تعكس شاعرية دريد بن الصمة وتتمثل معجمه الإبداعي، كما انعكست في أغراض شعره العديد من الصور الفنية التي تقرب للمتلقين شجاعته –دريد بن الصمة– ودرايته بالحروب، ومهاراته الحربية التي تناقلت سيرتها أخبار التاريخ وكتب التراث.

الكلمات المفتاحية : صورة البطولة، الشعر، دريد بن الصمة .

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

The image of heroism in the poetry of Duraid Ibn As-Summah

Oudah Ibn Sueilam Ibn Ali Ash-Shammari
Department of Arabic Language, University College in Al-Qunfudhah, Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: asshamari@uqu.edu.sa

Abstract

This study aims at tracing and focusing on the image of heroism in the poetry of Duraid Ibn As-Summah through the accurate investigation of the military dictionary of the poet as a part of the semantic fields. To clarify this, the introduction of the thesis includes the biography of the poet, Duraid Ibn As-Summah and some information about him. It defines the concept of the imagery and its importance. Then the thesis starts to trace the image of heroism in the poetry of Duraid Ibn As-Summah through focusing on the military dictionary of the poet as an attempt to view the imagery and its beauties in his poetry through the image of war, image of heroism and heroes, image of the guard, image of raid, image of sword, image of spear, image of armor, image of helmet, and image of arrow.

This image derived from the subject of heroism is a true expressive image which reflects the poetic talent of Duraid Ibn As-Summah and his knowledge of wars and his military skill its account was conveyed through history and heritage books.

Keywords: image of heroism – poetry – Duraid Ibn As-Summah.

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدمة

حينما يلج الفكر إلى العرب الجاهليين، يقترن معه لزامًا دور الشعر وقيمة الشعراء، مما رسخ القناعة بأن الشعر هو ديوان العرب، فقد كان الشعر هو التعبير الأول للجاهلي؛ لتغلغله في ضميره، حتى انعكست في الشعر الجاهلي صورٌ بجوانب مختلفة من حياة العرب قبل الإسلام الروحية والوجدانية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية؛ إذ كان الشعر سجلًّا حافلًا دُوِّنَت فيه وقائعه وسائر أخباره، ومن ثمَّ اكتسب قيمته الكبيرة؛ فما إن يبزغ نجم شاعر في قبيلة ما أتت وفود القبائل لتهنئتها؛ دلالة على مكانة الشاعر وقيمته للقبيلة والمجتمع؛ كونه الحامي لأعراضهم، والذّابّ عن أحسابهم، والمخلد لمآثرهم، والمشيد بذكرهم، وهذا دأب العرب في تلك الحقبة إذ كانوا "لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج"(١).

ولما كان دريد بن الصِّمَّة أحد الشعراء الجاهليين الذين خلدت الحياة أشعارهم، وظل صدى أفكاره شاهدًا على إرث عربي انقضى من تاريخ الأمة العربية؛ فقد كان هدف البحث تتبع صورة البطولة في أشعاره، وانعكاس شخصيته فيها، وموقفه منها، وإماطة اللثام عن السمات البارزة لأسلوبه، والتأثير البيئي والثقافي في شعره.

وقد قامت الدراسة على المنهج التحليلي الذي يعمد إلى رصدِ الصور الشعريةِ وتفكِيكِها، وتجاوزِ حدودها السطحيةِ للوصول إلى ما بينها من علاقات خَفِيَّةٍ وما رافقها من ظروف نفسية، ومن ثَمَّ الكشف عن أبرز السمات الشعرية للشاعر.

---

(١) ابن رشيق القيرواني(ت٤٦٣هـ)، (١٩٨١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، القاهرة، ج١، ص٦٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التعريف بدريد بن الصِّمَّة وبعض أخباره(١):

أشار محققو كتاب الأغاني إلى ترجمة دريد بن الصِّمَّة في الشعر والشعراء (دار الثقافة) :٦٣٥-٦٣٨، والخزانة ١١٨:١١-١٢١، والسمط:٣٩، والمعمرين:٢٠، وأسماء المغتالين:٢٢٣، وانظر: شرح الحماسة للمرزوقي (أحمد أمين وعبد السلام هارون):٨١٢. والتعريف بدريد بن الصمة عند صاحب الأغاني: هو دريد بن الصِّمَّة، واسم الصِّمَّة فيما ذكر أبو عمرو، معاوية الأصغر بن الحارث معاوية الأكبر بن بكر بن عَلَقَة، وقيل عَلْقَمَة، بن خُزاعة بن غَزِيَّة بن جُشَمَ بن معاوية بن بكر بن هوازن. أما أبو عبيدة فقل: هو دريد بن الصِّمَّم، واسمه معاوية بن الحارث بن بكر بن عَلَقة ولم يذكر معاوية. وقال ابن سلام: الحارث بن معاوية بن بكر بن عَلَقة.

صفاته:

ودريد بن الصِّمَّة فارس شجاع شاعر فحل، وجعله محمد بن سلام أول شعراء الفرسان. وقد كان أطول الفرسان الشعراء غزوًا، وأبعدهم أثرًا، وأكثرهم ظفرًا، وأيمنهم نقيبة عند العرب، وأشعرهم دريد بن الصِّمَّة.

إخوته:

وكان لدريد إخوة وهم: عبد الله الذي قتلته غَطَفَان، وعبد يغوث قتله بنو مرَّة، وقيس قتله بنو أبي بكر بن كِلاب، وخالد قتله بنو الحارث بن كعب، أمهم جميعًا ريحانة بنت معد يكرب الزبيدي أخت عمرو بن معد يكرب، كان الصِّمَّة سباها ثم تزوجها فأولدها بنيه.

---

(١) انظر: الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (٢٠٠٢) كتاب الأغاني، تحقيق: إحسان عباس، إبراهيم السعافين، بكر عباس، ط١، دار صادر، بيروت، م١٠، ص٥-٢٧.

خبر مقتله:

تتفق جميع الروايات على أنه قتل في يوم حنين، وأن قاتله من بني سليم، وهو ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة، حينما "أخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة، وذلك أنه كان في شجار له، فأناخ به إذا هو برجل شيخ كبير ولم يعرفه الغلام. فقال له دريد: ماذا تريد؟ قال: أقتلك. قال: ومن أنت؟ قال: أنا ربيعة بن رُفَيع السُّلَمِي. فأنشأ دريد يقول:

وَيْحَ ابنَ أَكْمَةَ مَاذَا يُرِيْدُ ... مِنَ المُرْعِشِ الذَّاهِبِ الأَدْرَدِ
فَأُقْسِمُ لَو أَنَّ بِيْ قُوَّةٍ ... لَوَلَّتْ فَرَائِصُهُ تُرعَدُ
وَيَا لَهفَ نَفْسِيَ أَلَّا تَكُونَ ... مَعِي قُوَّةُ الشَّارِخِ الأَمْرَدُ

ثم ضربه السلمي بسيفه فلم يغن شيئًا. فقال له: بئس ما سلحتك أمك! خذ سيفي هذا من مؤخر رحلي في القراب فاضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ، فإني كذلك كنت أفعل بالرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة، فرب يوم قد منعت فيه نساءك! فزعمت بنو سليم أن ربيعة قال: لما ضربته بالسيف سقط فانكشف، فإذا عِجَانُه وبطن فخذيه مثل القراطيس من ركوب الخيل أعراء. فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه؛ فقالت له: لقد أعتق قتيلك ثلاثًا من أمهاتك. وقد رثته عمرة بنت دريد فقالت:

جَزَى عَنَّا الإِلَهُ بَنِي سُلَيْمٍ ... وَأَعقَبَهُمْ بِمَا فَعَلُوا عَقَاق
وَأَسقَانَا إِذَا سِرنَا إِلَيْهِمْ ... دِمَاءَ خِيَارِهِمْ يَومَ التَّلَاقِيْ
فَرُبَّ مُنَوِّهٍ بِكَ مِنْ سُلَيْمٍ ... أُجِيْبَ وَقَد دَعَاكَ بِلَا رِمَاق
وَرُبَّ كَرِيْمَةٍ أَعتَقتَ مِنْهُم ... وَأُخرَى قَدْ فَكَكْتُ مِنْ الوَثَاق

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

مفهوم الصورة الفنية وأهميتها:

تبرز قيمة الشعر من خلال الصور والمعاني التي ينماز بها إبداع قائله، وقد تنوعت جهود النقاد لتحديد مفهوم الصورة الفنية، وتجلية أهميتها، حتى أصبحت –الصورة الفنية– إحدى قضايا النقد الأدبي التي حظيت بدراسات العديد من النقاد في القديم والحديث.

يقول جابر عصفور: "على أن ما بذلته من جهد في هذا السبيل جعلني اقتنع اقتناعًا عميقا بأن قضية الصورة في التراث النقدي العربي مشكلة جوهرية، تحتاج لا إلى دراسة واحدة فحسب، بل إلى العديد من الدراسات الدقيقة المتخصصة"(١). ويعضد إشكالية تحديد مفهوم الصورة الفنية في النقد القديم؛ رأي (علي صبح) الذي لمس في دراسته صعوبة تحديد مفهوم الصورة الفنية وماهيتها، ورأى أن تقصيها "ليس باليسير الهين، ولا السهل اللين، ومن قال ذلك فقد احتجبت عنه أسرار اللغة، وجمالها المكنون المستتر، وروحها المتجددة النامية، وليس لها –كما عند المناطقة– حدود جامعة، ولا قيود مانعة"(٢).

ويردنا هذا الرأي إلى وجود إشكالية تتعدى اختلاف الشعراء فيما بينهم في توظيف الصورة الفنية، ولازم هذا الاختلاف السيرورة التاريخية في التناول برغم الاختلاف بين الشعر الحديث و"القديم في طريقة استخدامه للصور"(٣). ورأى بعض النقاد القدماء أن الصورة الفنية تتمحور في العلاقة

---

(١)عصفور، جابر أحمد (٢٠٠٣)، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ط١، دار الكتاب المصري، القاهرة، ص٩.

(٢)صبح، علي (د.ت)، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، د.ط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ص٥.

(٣)عباس، إحسان (١٩٨٧)، فن الشعر، ط٤، دار الشروق، عمَّان، ص١٩٣.

والربط بين الألفاظ والمعاني والتجارب الشعرية، وذهب الجرجاني إلى أن "قولنا: الصورة، إنما هو تمثيل وقياس لما نعمله بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا، فلما رأينا البينونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان بين إنسان من إنسان، وفرس من فرس، بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذاك. وكذلك كان الأمر في المصنوعات، فكان تبين خاتم من خاتم، وسوار من سوار بذلك. ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين وبينه في الآخر بينونة في عقولنا، وفرقًا عبرنا عن ذلك الفرق وتلك البينونة بأن قلنا: للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك. وليس العبارة عن ذلك بالصورة شيئًا نحن ابتدأناه، فينكره منكر، بل هو مستعمل مشهور في كلام العلماء. ويكفيك قول الجاحظ: وإنما الشعر صناعة وضرب من التصوير"(١).

وإذا تتبعنا مفهوم الصورة الفنية تاريخيًّا نلتقي وتعريف أحمد الشايب؛ بأن الصورة الفنية هي: "المادة التي تتركب من اللغة بدلالاتها اللغوية والموسيقية، ومن الخيال الذي يجمع بين عناصر التشبيه والاستعارة والكناية والطباق وحسن التعليل"(٢).

فالصورة نسيج من اللغة، خارجة من رحم المعنى المراد توظفيه في النص، مصحوبةٌ بإعمال الفكر وبُعد الخيال المستمد مما وقع تحت رؤيا المُبْدِع.

---

(١) الجرجاني، عبدالقاهر (١٩٨٧)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمد رشيد رضا، د.ط، دار المعرفة، بيروت، ص ٣٨٩.

(٢) الشايب، أحمد (١٩٧٣)، أصول النقد الأدبي، د.ط، دار النهضة المصرية، القاهرة، ص ٢٤٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أهمية المصادر للصورة الفنية:

للصورة الفنية في قديم الشعر وحديثه أهمية ودور كبير، ولقد فطن عدد من الشعراء والنقاد القدامى إلى أن عنصر التصوير هو قوام العمل الشعري، فمنذ عصور ما قبل الميلاد ظهرت إشارات مهمة تدل على أن بعض شعراء الإغريق والرومان أدركوا أن ثَمَّةَ صِلَةً وجوديّةً بين الشعر والتصوير، وهذا يتضح من خلال تعريفاتهم للشعر، فقد نقل عن الشاعر اليوناني (سيمونيدس الكيوسي) قوله بأن الشعر صورة ناطقة، أو رسم ناطق، وأن الرسم أو التصوير شعر صامت، كما نقل عن الشاعر الروماني (هوراس) تعبير من إحدى قصائده والتي يشبه فيها القصيدة بالصورة [١].

وقد كان للشعراء مصادرُ متعددة ينهلون من مضمونها صورهم الفنية، ويشكلون بها خيالاتهم الذاتية، حتى بات لمصادر الصورة الفنية ارتباط وثيق الصلة بشخصية المبدع؛ فاتحاد المصدر وأحاسيس الشاعر وذوقه يشكل صورة فنية في نتاجه[٢].

وتعد البيئة الرافد الأساس الذي يستقي منه الشاعر صوره الفنية؛ إذ البيئة "صديقُ الإنسان اللدود، وهي ربيبته، التي لا يستطيع أن يعيش معها ولا يستطيع أن يعيش دونها! إنه يعيش معها، ولكنه يتحرق إلى الانفصال عنها، وحين ينأى عنها، يعود فيحن إلى الارتماء في أحضانها!"[٣]. فهو بكينونته وفلسفته ومشاعره جزء رئيس لا ينفصل عنها.

---

(١) مكاوي، عبد الغفار (١٩٨٧)، قصيدة وصورة- الشعر والتصوير عبر العصور-، (د.ط)، عالم المعرفة، الكويت، ص١٢- ١٣.

(٢) انظر: الرباعي، عبدالقادر (١٩٨٠)، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، جامعة اليرموك، ط١، الدراسات الأدبية واللغوية، إربد، الأردن، ص٣١.

(٣)إبراهيم، زكريا (د.ت)، مشكلة الإنسان، د.ط، مكتبة مصر، الفجالة، مصر، ص١٣٦.

وقد "أحاط الشاعر الجاهلي في أوصافه بجميع ظواهر البيئة التي كان يعيش فيها، فوصف الصحراء وما فيها من جماد وحيوان، وما يعتريها من رياح وسحب، وأمطار وظواهر المناخ المختلفة، وغير ذلك، بحيث يمكن القول معه بأن الشاعر الجاهلي قد صور البيئة العربية تصويرًا عامًّا، استوعب فيه جميع مظاهر الحياة في ذلك العصر"(١).

صورة الحرب:

كانت الظروف المعيشية والاجتماعية للعصر الجاهلي وراء تكرار حوادث "النزاع وقيام الحرب، وتوقع الخطر في كل لحظة؛ وأن بقاء القبيلة، وأمنها، وكرامتها، وهيبتها كانت تتوقف على ما كان لها من قوة حربية، وخبرة في الحرب، ومجد خلدته لنفسها بالانتصارات في حروبها"(٢). فكان لزامًا أن تتراءى صورة المعركة في شعرهم، كما أن الحرب عند العرب كانت لدواع "وأسباب تستثير هممهم، وتلهب نار أحاسيسهم، وتدفعهم إلى الوقوف في وجه أية محاولة من محاولات الهجوم والسيطرة، وكثر الحديث عن هذه الدواعي والأسباب، ولكن يظل السبب الرئيس والدافع المباشر لهذه الحرب، هو حب العربي وتقديسه الحرب، وإشباع غرائزه، وتلبية لنداء داخلي يحثه على الحرب، وهذا ما يفسر وقوع بعض الحروب التي لا توجد لها أسباب ظاهرة"(٣).

---

(١) الجندي، علي (د.ت)، في تاريخ الأدب الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ص٣٤٥.

(٢) الجندي، علي(١٩٦٦)، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة، ص٣٥٣.

(٣) أبو الرب، ابتسام نايف صالح (٢٠٠٦)، صور الحرب وأبعادها الأسطورة في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ص٣٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ومن صورها وصف دريد بن الصمة مشهد إغارة فزارة عليهم في ألفين من الخيل عليها رجال دارعون بمتنوع الأسلحة؛ لاسترداد ما استاقه عبد الله بن الصمة بعد غزوهم، وذلك أن عبد الله بن الصمة، ومعه دريد – غزا– غطفان، فأصاب منهم إبلًا عظيمة، فاستاقها واطردها. فقال له دريد: (النجاء)، إليك، فإنك قد ظفرت. فأبى عليه، وقال: لا أبرح حتى أنتقع نقيعتي. والنقيعة: ناقة تنحر وسط الإبل، ثم يقسمها الرئيس على أصحابه. فأقام عبد الله وعصى أخاه. فتبعته فزارة، فقاتلوه، فقتل عبد الله وارتث دريد في القتلى[١] حيث يقول[٢]:

عَلاَنِيَةً ظُنُّوا بِأَلْفَيْ مُدَجَّجٍ سَرَاتُهُمُ فِي الفَارِسِيِّ

وتتراءى صورة الحرب في معرض سعي دريد بن الصمة للصلح بين العباس بن مرداس وخفاف بن ندبة، مذكرًا كليهما بما آلت إليه حرب داحس والغبراء، وما ألحقت بالحرث والنسل من خراب ويباب، فبالمثال يُختصر المقال، حيث يقول[٣]:

سُلَيْمُ بنَ مَنْصُورَ أَلَمَّا تُخَبَّرُوا بِمَا كَانَ مِنْ حَرْبَيْ كُلَيْبٍ وَدَاحِسٍ
وَمَا كَانَ فِيْ حَرْبِ اليَحَابِرِ مِنْ دَمٍ مُبَاحٍ وَجَدْعٍ مُؤْلِمٍ لِلْمَعَاطِسِ
وَمَا كَانَ فِيْ حَرْبَيْ سُلَيمٍ وَقَبْلَهُمْ بِحَرْبِ بُعَاثٍ مِنْ هَلَاكِ الفَوَارِسِ
تَسَافَهَتْ الأَحْلَامُ فِيْهَا جَهَالَةً وَأَضْرَمَ فَيْهَا كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسِ

---

(١) علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر(١٩٩٩)، الاختيارين، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ص٤٠٤– ٤٠٥.

(٢) الجشمي، دريد بن الصمة (د.ت)، ديوان دريد بن الصمة الجشمي، جمع وتحقيق وشرح: محمد خير البقاعي، دار قتيبة، ص٤٧. ظُنُّوا: أيقنوا. المدجج: التام السلاح.

(٣) الديوان، ص٨٨.

وتتجلى صورة الحرب في مديح دريد بن الصمة بني الديان مظهرا شجاعتهم وبأسهم، ومضاء عزيمتهم، فهم أهل للحروب، مكنيًّا عن مراده بالإنسان يغص باللقمة من الأكل، في قوله[١]:

وَحَربُكُمُ بَنِي الدَّيَانِ حَرْبٌ يَغُصُّ المَرْءُ مِنْهَا بِالزُّلَالِ

وأضفى دريد بن الصمة صورة الحرب والدراية بفنونها في معرض رثاء أخيه خالدٍ، حيث جمع في مديحه بين الكرم والبطولة في خوض غمار الحروب، حيث يقول[٢]:

يَا خَالِدًا خَالِدَ الأَيْسَارِ وَالنَّادِي وَخَالِدَ الرِّيْحِ إِذْ هَبَّتْ بِصُرَّادِ

وَخَالِدَ القَولِ وَالفِعْلِ المَعِيْشِ بِهِ وَخَالِدَ الحَربِ إِذْ عَضَّتْ بِأَورَادِ

ومن هنا يدرك المتلقي أن للبطولة صورًا متعددة، وألوانا شتى "حملت في ثناياها بطولات نفسية ترتبط بالنفس والتغلُّب عليها، منها بطولة الحلم وما تتطلبه مواقعه، ورجاحة العقل وما تمليه ضروراته، والتي يتسم صاحبها بكظم الغيظ والترفع عن النزق والطيش، والسَّفه والغضب، وبطولة الصبر التي يتحمل فيها البطل الشدائد والصِّعاب، ويتغلب فيها على الهلع والفزع، ويثبت أمام القوارع والخطوب، إضافة إلى بطولة الحزم التي يتميز صاحبها بتغلُّبه على التردد في الرأي فهو صاحب الرأي الأمثل والأصوب، لا يخالفه الصواب، ولا يجانبه الرّشاد"[٣].

---

(١) الديوان، ص٩٧.

(٢) الديوان، ص٥٩.

(٣) منصور، المعتز بالله حمدي (٢٠١٠)، البطولة في الشعر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، الأردن، ص ٢٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فها نحن نرى دريد بن الصمة يباهي بسطوته وبأسه، ويفاخر بعطائه وبذله، حيث يقول[١] :

فَوَيْلٌ لِمَنْ بَاتَ فِي نَوْمِهِ ... يَرَانِي أَهْزُّ الحُسَامَ الصَّقِيلَا
وَوَيْلٌ لِمَنْ ظَنَّ فِي نَفْسِهِ ... بِأَنْ سَيَرَانِي طَرِيحًا قَتِيلَا
أَنَا نَائِبَاتُ الزَّمَانِ التِي ... تُذِلُّ العَزِيزَ وَتُحِيِ الذَّلِيلَا
وَفِي السِّلْمِ أُعْطِي عَطَاءً جَزِيلًا ... وَفِي الحَرْبِ أَطْعَنُ طَعْنًا وَبِيلًا
وَإِنْ جُزْتُ بِالجَيْشِ وَقْتَ الضُّحَى ... تَرَكْتُ الأَرَاضِيْ تَصِيْرُ مَحِيْلَا

ففي هذه اللوحة الفنية يتجلى اعتداد دريد بن الصمة ببطولته وشجاعته، وتعريض نفسه للمفازات التي لا يقدم على قطعها إلا من ينافسه الشجاعة، ولما في ذلك من "التعرض للمخاطر ومجابهة الموت والحركة والرشاقة اللتين يمثلهما الفرسان على صهوات جيادهم أو ظهور إبلهم"[٢]، ويذهب القيسي إلى إكبار الجماهير للأبطال وأنها "تعشق الأبطال وتجلهم؛ لأنها تجد فيهم الصورة الفذة، والقدرة الغريبة، والإرادة الصلبة في حسم الأمور لصالحها"[٣]، وها هو دريد بن الصمة يقدم بطولته للمتلقين، ويحذرهم من بأسه وسطوته، حيث جعل نفسه نائبات الزمان التي تغير من حال إلى حال فتذل العزيز وتعز الذليل؛ دلالة على القوة والقدرة على الإهلاك والتدمير، وذلك حين ينطلق على رأس هذا الجيش الذي كنى لقوته أنه يحيل الأرض الحية إلى موات.

---

(١) الديوان، ص١٢٧.
(٢) سركيس، إحسان (١٩٧٩)، مدخل إلى الأدب الجاهلي، دار الطليعة، بيروت، ص١١٠-١١١.
(٣) القيسي، نوري حمودي (١٩٨٨)، البطل في التراث، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص٢٧.

صورة البطولة والأبطال:

صورة البطولة والأبطال من مكونات الصورة الفنية في الشعر الجاهلي، وقد تنوعت صورتها في شعرهم، فالبطولة هي "شجاعة القلب والجسد في القتال، وقوة البدن وسلامته واستجابته، وهذا معناها الشامل القديم، وما زال باقيًا في أذهان العامة وخيالهم"[١]، ويقول الزبيدي: " البطل : الشجاع المتعرِّض للموت"[٢]. وذهب المعتز بالله حمدي منصور إلى أن البطولة "محط الأنظار، ومطمح النفوس، وميزة للتباهي والتمادح بها بين الناس، فهي صورة واضحة الملامح من المروءة والفتوة والفصاحة"[٣]. وأتت صورة البطولة جلية في شعر دريد بن الصمة، فهو أحد فرسان العرب المشهورين بالبطولة، وتتراءى صورة الأبطال مدججين بأسلحتهم في قوله[٤]:

عَلَانِيَةً ظَنُّوا بِأَلْفَيْ مُـدَجَّجٍ سَرَاتُهُم في الفَارِسِيِّ المُسَـرَّدِ

وتتراءى صورة الرجال البُهَم: جمع بُهْمَة، وهو البطل من الرجال المتمكن من فنون القتال، في قوله[٥]:

يَا بَنِي الحَارِثِ أَنْتُمْ مَعْشَـرٌ زَنْدَكُمْ وَارٍ وَفِي الحَـرْبِ بُهَـمْ

ودريد في قوله هذا يمتدح أعداءه مظهرا قوتهم وتأهبهم ودرايتهم بفنون

---

(١) المجذوب، محمد مهدي (١٩٨٥)، البطولة كما يصورها الأدب الجاهلي، مؤتمر الأدباء العرب، الدورة الرابعة، الكويت ٢٠-٢٨ ديسمبر، ص ٨٩.

(٢) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني(ت١٢٠٥هـ)، (١٩٦٦) تاج العروس في جواهر القاموس، ١٠ أجزاء، دار ليبيا، بنغازي، مادة (بطل).

(٣) منصور، المعتز بالله حمدي (٢٠١٠)، صورة البطولة في الشعر الأموي، ص١٥.

(٤) الديوان، ص٤٧.

(٥) الديوان، ص١١١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

القتال، وهي سمة اتخذها الشعراء لإظهار قوتهم بامتداح قوة أعدائهم.

وفي ذاك "الوجدان المشترك تتضاءل مصالح البطل الذاتية البحتة في حساب أهدافه السامية، فهو لا يسلك سبيل المصلحة والأنانية، فطاقاته الذاتية مدّخرة لنصرة المجموع وتحقيق مصالحهم، أو للدفاع عن قضية من كبريات قضايا الحياة، حتى وإن كان شخص الشاعر أو البطل محور هذه القضية"(١)، حيث يقول(٢):

مَتَى مَا تَدْعُ قَومَكَ أَدْعُ قَومِيْ وَحَولِيْ مِنْ بَنِيْ جَشْمٍ فِئَامُ

فَوَارِسُ بُهْمَةٍ حُشُدٌ إِذَا مَا بَدَا حَضْرُ الحُيَيَّةِ والخِدَامُ

والبطل شخصية مؤثرة وفعالة في المجتمع، وقد "ابتدعه وجدان الجماعة ليكون نموذجًا لكل من أفرادها فهو جماع فضائلها، وهو المحقق لأحلامها ورغباتها"(٣)، وفي ذلك يقول دريد بن الصمة(٤):

وَلَنْ يَزَالَ شَهَابًا يُسْتَضَاءُ بِهِ يَهدِيْ المَقَانِبَ مَا لَمْ تَهْلِكِ الصِّمَمُ

عَارِي الأَشَاجِعِ مَعصُوبٌ بِلِمَّتِهِ أَمرُ الزَّعَامَةِ فِيْ عِرنِيْنِهِ شَمَمُ

فدريد بن الصمة في قوله هذا يرثي أخاه عبد يغوث مظهرا مكانته في قومه، فهو الشهاب الذي يضيء لهم الطريق ويسترشدون به في غزواتهم، بل هو سيدهم الذي يُعصب برأسه كل أمر.

وكذا قوله يرثي معاوية بن عمرو بن الشريد وكان قد تحالف هو ودريد بن الصمة وتواثقا إن هلك أحدهما أن يرثيه الباقي بعده، وإن قتل يطلب

---

(١) منصور، المعتز بالله حمدي (٢٠١٠)، صورة البطولة في الشعر الأموي، ص١٧.

(٢) الديوان، ص١٠٧.

(٣) يونس، عبد الحميد (١٩٥٩)، البطولة في الأدب الشعبي، مجلة الآداب، العدد ١، ص ٨

(٤) الديوان، ص١١٠.

بثأره، فقُتل معاوية ورثاه دريد[١] بقوله[٢]:

وَلَـــو أَسْـــمَعَتْهُ لَـــأَتَى حَثِيْثًـــا سَـــرِيعَ السَّـــعْيِ أَو لَأَتَـــاكَ يَجْـــرِي
بِشِـــكَّةِ حَـــازِمٍ لَـــا عَيْـــبَ فِيْـــهِ إِذَا لَـــبِسَ الكُمَـــاةُ جُلُـــودَ نِمْـــرِ

وتتراءى صورة الأبطال في معرض اعتداد دريد بن الصمة بأبطال قومه وقد ألحقوا الهزيمة ببني أسد، وتركوا قتلاهم صرعى وشفوا صدورهم، حيث يقول[٣]:

رَدَدنَا الحَـيَّ مِـنْ أَسَـدٍ بِضَـرْبٍ وَطَعْـنٍ يَتْـرُكُ الأَبْطَـالَ زُورَا
تَرَكنَـا مِـنْهُمُ سَـبْعِينَ صَـرعَى بِبُسـيَانَ وَأَبْرَأنَـا الصُّـدُورَا

ويصف دريد بن الصمة نفسه وقد أكسبها صفات القوة والمنعة، والدراية بسياسة الخيل، فالبطل يُعدُّ "فردًا فائقًا يتجاوز الناس في صفاته، ويسلك في مواجهة الأحداث امسلكً مثاليًّا، ويأتي من الأعمال ما يعجز عنه سائر البشر، ويتنزه عن كثير مما يميز الناس من نقص إنساني، أو ضعف بشري"[٤]، حيث يقول[٥]:

لَقَدْ أَرُوعُ سَـوَامَ الحَـيِّ ضَـاحِيَةٍ بِالجُردِ يُركِضُهَا الشُّـعثُ المَغَـاوِيْرُ
يَحْمِلْنَ كُلَّ هِجَـانٍ صَـارِمٍ ذَكَـرٍ وَتَحـتَهُمْ شَـزَبٌ قُـبٌّ مَحَاضِـيْرُ

ويصف دريد بن الصمة ممدوحه بأنه لا يهاب خوض الصعاب، فهو مدلاج في الليالي الحالكة، حيث يقول[٦]:

---

(١) انظر: الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، م١٠، ص٢٤.
(٢) الديوان، ص٧٢.
(٣) الديوان، ص٧٢.
(٤) إدريس، سهيل، (١٩٥٩)، البطولة في الرواية العربية الحديثة، مجلة الآداب، العدد١، ص٢.
(٥) الديوان، ص٧٥.
(٦) الديوان، ص٨٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَلَـــيْسَ بِمِكْبَـــابٍ إِذَا اللَّيْـــلُ جَنَّـــةٌ نَؤُومٍ إِذَا مَا أَدْلَجُـــوا فِـــي المُعَـــرَّسِ
وَلَكِنَّـــهُ مِـــدْلَاجُ لَيْـــلٍ إِذَا سَـــرَى يَنِـــدُّ سُـــرَاهُ كُـــلَّ هَـــادٍ عَمَلَّـــسِ

وتتراءى صورة البطل مجتمعة مع الكرم في مديح دريد بـــن الصـــمة، وإن هذه الصورة تتجلى فيها أسمى مواطن الإكرام والإيثار والشجاعة؛ إذ إن الشجاع "يقمع شره نفسه، ويتغلب على شحّها، ليؤثر غيـــره علـــى نفســـه أو يشركه في خيره"(١)، حيث يقول(٢):

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَـــا سَـــمِعْتُ بِمِثْلِـــهِ حَامِي الظَّعَيْنَـــةِ فَارِسًـــا لَـــمْ يُقْتَـــلِ
أَردَى فَوَارِسَ لَـــمْ يَكُونُـــوا نُهْـــزَةً ثُـــمَّ اسْـــتَمَرَّ كَأَنَّـــهُ لَـــمْ يَفْعَـــلِ

صورة الربيئة:

تأتي صورة الربيئة كأحد ركائز الشعر الجاهلي خاصة في تلازمها مع غرضي المديح والفخر، في قوله(٣):

رَئِيْسُ حُرُوبٍ لَا يَزَالُ رَبِيْئَةً مَشِيْحًا عَلَى مُحْقَوقِفِ الصُّـــلْبِ

يذكر دريد ببيته هذا بعض ما تحلى به أخوه ذلك الفارس الشجاع الذي كان سيدا على قومه، عينا لهم كي لا يدهمهم عدو، جادًّا حزما حذرا، ولمنحه الصدارة في قومه؛ جعله ربيئة القوم، أي: "كالئهم وعينهم، وَيُقَـــال: ربـــأتهم أربؤهم ربأ، وَإِنَّمَا قيل لَهُ ربيئة؛ لِأَنَّهُ يكون على جبل أَو شرف ينظر. وَيُقَال: إِنِّي لأربأ بك عَن كَذَا. أَي: أرفعك. وَمَا عرفت فلَانـــا حَتَّـــى أربـــأ لـــي أَي أشرف"(٤).

---

(١) الحوفي، أحمد محمد (١٩٥٢)، الحياة العربية من الشعر االجاهلي، ط٣، مكتبـــة نهضـــة مصر، القاهرة، ص٣٢.
(٢) الديوان، ص٩٥.
(٣) الديوان، ص٥٠.
(٤) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الـــدينوري(ت: ٢٧٦هـــ)، (١٣٩٧هـــ)، غريـــب الحديث، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ج١، ص٣٩٩.

صورة الغارة:

ويقصد بالغارة: "ذلك النوع من الهجوم الذي يشنه قوم على آخرين بغتة، ويعملون كل ما في جهدهم لإخفاء أخباره؛ خشية أن تتسرب إلى القوم المقصودين بالغارة"(١)، والغارة ركيزة أساسية في الشعر الجاهلي خاصة في تلازمها مع غرضي المديح والفخر، وقد "مدح الشعراء بشن الغارات الشديدة العظيمة الأثر، وبشنها في أوقات الشدة كزمن القيظ لتعذُّر الماء والكلأ، وبوصل الشتاء والربيع في الإغارة، وإدامتها، فما يخرج الممدوح من غارة إلا ويدخل في أخرى"(٢)، ويوظف دريد بن الصمة الغارة في وصف مشهد غارتهم بعدما خيم البؤس على المعمورة، حيث يقول(٣):

أَغَرْنَا بِصَارَاتٍ وَرَقْدٍ بِنَا يَومَ لَاقَى أَهْلُهَا البُؤسَ عُلْيَبُ

ويوظف دريد بن الصمة الغارة مرة أخرى استدلالا على خفته في المعركة وسرعة تحركه وتتابع طعانه الأعداء، حيث يقول(٤):

فَرُبَّتَ غَارَةٍ أَوضَعْتُ فِيهَا كَسَحٍّ الهَاجِرِيِّ جَرِيمَ تَمْرِ

نجد أن دريد بن الصمة في بيته هذا يصور بعض غاراته وما أحدث فيها من سرعة وقوة وطعن متتابع لأعدائه، ولتقريب الصورة لذهن المتلقي؛ عمد إلى الطبيعة حين شبه وابل الطعنات التي وجهها لخصومه بتساقط نوى

---

(١) الجندي، علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ص٧٩.

(٢) الجندي، علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ص٣٠١.

(٣) الديوان، ص٤١. صارات: جمع صائرة وهي المطر والكلأ. رَقْد: الحر بعد الرياح. عُليب: واد بتهامة.

(٤) الديوان، ص٧٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

التمر، قائلا: كما أن الخزرج لكثرة التمر عندهم لن ينتهي صب النوى، كذلك هو لخفته وسرعته فلن يتوقف عن تسديد الضربات والطعان لعدوه.

وتتراءى صورة الغارة في معرض فخر دريد بن الصمة الذاتي ببطولته، فهو "يسترخص الحياة في سبيل دفع المهانة والذل، يحارب الخصم ويقاتله قتالًا مستميتًا، وهو يعلم أحيانًا تفوق خصمه عليه، وذلك لدفع الذل الذي يحاول أن يجعله يعيش فيه"[١]، حيث يقول[٢]:

لَسْتُ لِلصِّمَّةِ إِنْ لَمْ آتِكُمْ بِالخَنَاذِيْذِ تُبَارَى فِيْ

وهو بهذه المفاخرة نجده قد أبان عن الشجاعة والدراية بفنون الحرب وسياسة الخيل، فهو يدرك أن الهمام "إذا همّ بأمر فعله، فلا يتردد ولا يثنيه شيء، وله عزة ماضية، وحزم وثبات على الهدف، وتلك هي الشجاعة والرجولة"[٣].

ونجده يجنح إلى وصف فرسه -كعادة الشعراء- وصفا دقيقا تناول هيئته وقوته وسرعته، مستعملا ألفاظا تحمل في طياتها مضمون ما أراد الشاعر إبرازه، حيث يقول[٤]:

عَتِيْدٌ لِأَيَّامِ الحُرُوبِ كَأَنَّهُ إِذَا انْجَابَ رَيْعَانُ العَجَاجَةِ أَجْدَلُ
يُجَاوِبُ جُرْدَا كَالسَّرَاحِيْنِ ضُمَّرَا تَرُودُ بِأَبْوَابِ البُيُوتِ وَتَصْهَلُ

---

(١) عبد الرحمن، عفيف (١٩٨١)، المثل والقيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ،٤ (١١-١٢)، ص١٣٧.

(٢) الديوان، ص٦٤.

(٣) الخواجا، زهدي صبري (١٩٨٤)، الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي، ط١، دار الناصر، الرياض، ص٢٥٥.

(٤) الديوان، ص١٠٢-١٠٣.

عَلَى كُلِّ حَــيٍّ قَــدْ أَطَلَّــتْ بِغَــارَةٍ وَلَا مِثْلُ مَا لَاقَى الحِمَــاسُ وَزَعْبَــلُ

فقوله: (عَتِيْدٌ)، (جُردَا)، (ضُمَّرَا) كلها أوصاف خلعها دريد على فرسه؛ دلالة على القوة، والعتق والكرم، والخفة وسرعة الوثب، إضافة إلــى جعلــه فرسه كالذئاب في الخفة والنشاط والاندفاع مما جعله أسرع من غيــره مــن الخيول.

ويصف دريد مرة أخرى غارة كان على رأسها مستمدًا هيئة فرسه من صورة الذئب؛ لخفة حركته، وسرعة كره وفره، حيث يقول(١):

وَغَارَةٍ بَيْنَ اليَــومِ وَالأَمْــسِ فَلتَــةٍ تَــدَارَكْتُهَا رَكضًــا بِسِــيْدٍ عَمَــرَّدِ

سَلِيمِ الشَّظَى عَبْلِ الشَّوَى شَنَجِ النَّسَا طَوِيْــلِ القَــرَا نَهْــدٍ أَسِــيْلِ المُقَلَّــدِ

فبعد أن انطلق دريد على فرس يحاكي الذئب خفة ونشــاطا وســرعة وانطلاقا، نجده يصف جسم فرسه، حتى إنه ليصف أجزاء من جسمه ليســت ظاهرة أمام عينيه مثل: الشظى والنسا، بل ويمتدح بعض الصــفات الخارجيــة المحبوبة فالذراع: عبل، والخد: أسيل وغيرها من الأوصاف التي ألبسها دريد بن الصمة فرسه.

صورة السيف:

وظف الجاهليون السيف كغيره من أدوات الحرب في أشعارهم وكانــت لهم مشارب شتى في توظيف صوره، وتحدثوا عنالسيف من عدة نواح، وهي: "مادته، وصفاته المحبوبة، وعناية صاحبه به، وحدته وأسماؤه، ثــم الصــور التي رسموها له ولأجزائه. أما مادة السيف فخيرها عندهم ما كان مصــنوعًا من خالص الحديد، وأخلصته الصياقل حتى صار نقيًّا، وأصــبح خاليًــا مــن العيوب، صافي الجوهر بحيث يخفى جرسه عند استلاله"(٢).

---

(١) الديوان، ص٥٠-٥١.

(٢) انظر: الجندي، علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ص١٤٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتتراءى في شعر دريد بن الصمة صورة السيف الأبيض الذي يصيب الأعداء بمقتل، حيث يقول(١):

قَلِيْلَ البَتَـــاتِ غَيْـــرَ قَـــوسٍ وَأَبْيَضَ قَصَّـــالِ الضَّـــرِيْبَةِ

ودريد في بيته هذا يفاخر كعادة الشعراء بقلة الزاد لا عن حاجة وعوز وإنما عن إيثار، فقد كان من عادتهم التمدح بالهزال وإيثار غيرهم بالزاد على أنفسهم، وهم وإن كانوا يغضون الطرف عن الزاد فلا يغضونه عـــن قـــوس وسهام وسيف قاضب صقيل أبيض يتلألأ حده.

وتتجلى صورة السيف الصقيل في معرض اعتداد دريـــد بـــن الصـــمة وفخره بنفسه وقومه بدرايتهم بالحروب والمعارك وملاقاة الخصوم؛ حتـــى إن سيوفهم اعتادت الطعان في لحوم الأعداء، في قوله(٢):

فَإِنَّا لِلَحْمِ السَّيْفِ غَيْرَ نَكِيرَةٍ وَنَلْحَمُهُ حِيْنَاً وَلَيْسَ بِـــذِي

فدريد في قوله هذا يؤكد أنهم وإن كانت سيوف أعدائهم قـــد أصـــابتهم وطعمت منهم فهم كذلك يطعمونها لحوم أعدائهم، فيجعلون أعداءهم لحمة لها بلا شك ولا مرية، ولإعمال الذهن وتقريب الصورة؛ عمد دريد إلى الأسلوب الاستعاري حين جعل سيوفهم كوحوش ضارية لا تقتات إلا لحوم فرائسها.

وما كان من دريد بن الصمة إلا توظيف صورة الحسام الذي اعتنى به صاحبه في معرض وصف ممدوحه، حيث يقول(٣):

---

(١) الديوان، ص٥٨. البتات: متاع البيت. قصال: أي حاد.

(٢) الديوان، ص٦٤.

(٣) الديوان، ص٩٥.

مُتَهَلِّلاً تَبْدُو أَسِـرَّةُ وَجْهِـهِ مِثْلَ الحُسَـامِ جَلَتْـهُ كَـفٌّ

ويقدم صورة للسيوف مقرونة بالرماح الظمأى في مشهد كرهم وفـرهم في الغارة على خصومهم كي تروي ظمأها من دم أعدائها، حتى شبه سيوفهم ورماحهم بالإبل التي تعل وتنهل من الماء المورود، في قوله[١]:

نَجُـذُّ جَهَـارًا بِالسُّـيُوفِ وَأَرْمَاحُنَا مِنهُمْ تَعُلُّ وَتَنْهَـلُ

ويصف دريد بن الصمة السيف الصارم في كف صاحبه المتأهب للقـاء، حيث يقول[٢]:

يَدِبُّ إِلَيْهِ السَّـبْعُ يَخْتُـلُ ظِلَّـهُ وَفِيْ كَفِّهِ صَافِيْ الحَدِيدَةِ صَارِمِ
فَأَمْكَنَ حَدَّ السَّيْفِ مَرْجِعَ خَصْمِهِ وَكَرَّ يُسَاوِيْ الخَطْوَ والشَّـخْصُ

وتتجلى صورة السيف الصارم مرة أخرى في اعتداد دريد بن الصـمة بنفسه، وقد أبان البيت عن الحالة الوجدانية للشاعر فتجلى صـدق عاطفتـه وامتزاجها بحزنه. لذلك ناسب أن يكون الثراء الحق "هو ثراء الـذكرى، وأن هذا الثراء هو الخلود لمن يطلب الخلود"[٣]. فبعدما أمسى شيخًا ضعف بصره، وذهب الكثير من عمره، وأصبح سواد شعره يقل، ويغلبه البياض، وهـذا مـن أسباب كدر صفو نفسه، بعدما أصبح ثقلًا على من حوله "ولم يعد باسـتطاعته أن يحيا حياةً منتجة"[٤]؛ ولهذا بالغ التأثير على سيكولوجية نفسه حيث يرد معترضًا

(١) الديوان، ص١٠٣.
(٢) الديوان، ص١٠٩.
(٣)أمين، فوزي (٢٠٠٤)، الشعر الجاهلي دراسات ونصوص، دار المعرفة الجامعية، مصـر، ص ٤١٩.
(٤) إبراهيم، زكريا (١٩٧١)، مشكلة الحياة، مكتبة مصر، القاهرة، ص١٨٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

على إنكار المنكرين لشيبته وتقدمه في السن؛ إذ جعل من العاذلة معادلًا موضوعيًّا لما يخالج نفسه من تفكك نفسي كبير، حيث يقول[١]:

يَا هِنْدُ لا تُنْكِرِيْ شَيْبِي وَلَا كِبَرِيْ فَهَمِّيْ مِثْلَ حَدِّ الصَّارِمِ الذَّكَرِ

صورة الرمح:

الرمح من عدة الحرب، وهو سلاح متوارث في يد الرجل الجاهلي، ويتكون الرمح من ثلاثة أجزاء: ١- الزج: وهو حديدة تكون في أسفل الرمح. ٢- القناة: وهي القائم الذي يثبت في أسفله الزج، ويدخل في أعلاه السنان وهي ذات جزأين: ١- السافلة: وهي النصف الذي يلي الزج. ٢-العالية: وهي النصف الذي يلي السنان. وقد تطلق كلمة العوالي ويراد بها الرماح أنفسها. أما الجزء الذي على قدر ذراع من السنان فيسمى)عاملًا)؛ وذلك لأنه الجزء الذي يعمل، وقيل إن العامل هو كل الرمح؛ لأنه لا يعمل ببعض دون بعض، وقيل بل هو السنان لأنه الجزء الذي يعمل به. والجزء الذي يدخل من القناة في السنان يسمى (الثعلب). أما الكعب: فهو كل عقدة بين أنبوبين، والليط: قشرة القناة. ٣- السنان: وهو النصل، ويصنع من حديد، ونهاية السنان المدببة تسمى (الظبة)[٢].

وقد استلهم دريد بن الصمة صورة الرمح ووظفها في شعره من ذلك افتخاره ببطولته، وإقدامه على الأعداء ممتشقًا رمحه بلا وجل من لقاء النزال، حيث يقول[٣]:

---

(١) الديوان، ص١٢٥.

(٢) الجندي، علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ص١٤١ - ١٤٢.

(٣) الديوان، ص٢٨.

تَكُـــرُّ عَلَـــيْهِمْ رَجْلَتَـــيْ وَأُكْرِهُ فِيْهِمُ صَعْدَتِيْ غَيْـرَ

أراد دريد في قوله هذا إبراز ضعف خصومه وعدم مجـاراتهم لقوتـه وقوة قومه، وذلك حين يثب عليهم بفوارسه فيعمل فيهم -بلا رحمة ولا شفقة- رماحا قد طالت ودق سنانها فلا حاجة بها إلى ثقاف. وقوله: (وَأُكْـرِهُ فـيْهِمُ صَعْدَتِيْ) ليس ضعفا في رماحه، وإنما إشارة إلـى أن خصـومهم أشـداء لا يستهان ببأسهم، وفي قوة خصومهم قوة لهم.

ويقدم للرماح صورة أخرى وذلك حين هب لنصرة أخيه الذي كان قـد أغار على غطفان فغنم منهم مغانم كثيرة، ولكن هيهات فقد انهالت عليه جنود غطفان برماحها حتى غدا لرماحهم كالنسيج لشوكة الحائك، حيث يقول[١]:

فَجِئْتُ إِلَيْهِ وَالرِّمَاحُ تَنُوشُهُ كَوَقْعِ الصَّيَاصِيْ فِيْ النَّسِيْجِ

والرمح من عتاد دريد بن الصمة، وفي هذه الصـورة تجليـة لفخـره بنفسه، واعتداده بذاته، وخيله صعبة القياد لمن لا يمتلك قوة جسـدية؛ لهـذا حظيت الخيل بعناية الشعراء عناية "فائقة، واهتمام كبيـر، فقـد صـوروها تصويرًا دقيقًا في حركاتها وسكانتها، وتتبعوا أجسامها جزئية جزئيـة، ولـم يقتصروا على أعضائها الظاهرة صغيرها وكبيرها"[٢]، حيث يقول[٣]:

أَعَاذِلُ عُدَّتِيْ بَدَنِيْ وَرُمْحِيْ وَكُلُّ مُقَلِّصٍ شَكِسِ القِيَـادِ

ويستمد دريد بن الصمة من الرمح الرديني مصـدرًا لتقريـب صـورة ممدوحه، فهو كالسيف حزما وعزما، وكالرمح الرديني خِلقَةِ وخلقا وطولًـا، حيث يقول[٤]:

---

(١) الديوان، ص٤٨.
(٢) الجندي، علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ص٣٥٩-٣٦٠.
(٣) الديوان، ص٦٠. عدتي: سلاحي. المُقَلِّص: يريد فرساً طويل القوائم. شَكِسٌ: صعب القياد.
(٤) الديوان، ص٩١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فَتَىً مِثْلُ مَتْنِ السَّيْفِ يَهْتَزُّ لِلنَّدَى كَعَالِيَةِ الرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ

ويستمد دريد بن الصمة من الرمح مصدرًا لاعتداده بذاته، حيث يقول(١):

أَقُولُ لَهُ وَالرُّمحُ يَأطُرُ مَتْنُهُ تَأَمَّلْ خُفَافًا إِنَّنِي أَنَا ذَلِكَا

ويصف دريد بن الصمة مشهد لقائهم بخصومهم الدارعين بالعتاد من السلاح، وقد نصب دريد وقومه صدور رماحهم الطويلة لقلوب أعدائهم؛ فالقلب حيث إنهاء الخصم وحيث سداد الرمي، حيث يقول(٢):

فَمَا جَبُنُوا وَلَكِنَّا نَصَبْنَا صُدُورَ الشَّرعَبِيَّةِ لِلْقُلُوبُ

فَكَمْ غَادَرْنَ مِنْ كَابٍ صَرِيْعٍ يَمُجُّ نَجِيْعَ جَائِفَةٍ ذَنُوبِ

ويشبه دريد بن الصمة خوف المقاتلين من الرمح الرديني بيد الفارس المقدام بخوف الطيور الصغيرة من الصقر الجارح، حيث يقول(٣):

وَتَرَى الفَوَارِسَ مِنْ مَخَافَةِ رُمْحِهِ مَثْلَ البُغَاثِ خَشِيْنَ وَقْعَ

فالبغاث وهو ذلك الطائر الضعيف الذي يضرب به المثل في الذلة والهوان –وقد شبه خصوم ممدوح به– لا محالة هالك بملاقاة الصقر ذي القوة والبأس –وقد شبه ممدوح به–.

ولم يكتف دريد بن الصمة بلفظة الرمح بل أورد مرادفها (القنا) في معرض تهديد ووعيد قوم فزارة، وتشبيه حالهم وقت الإغارة عليهم بمشهد الجنادب تتقافز، حيث يقول(٤):

---

(١) الديوان، ص١١٧.

(٢) الديوان، ص٣٦. النجيع: الدم. الجائفة: الطعنة التي تنفذ إلى الجوف.

(٣) الديوان، ص٩٥.

(٤) الديوان، ص٢٨.

فَلِلْيَـــومِ سُـــمِّيتُمْ فَـــزَارَةَ لِوَقْعِ القَنَـــا تَنْـــزُونَ نَـــزْوَ

يبلغ دريد خصومه بأنهم أضعف من ملاقتهم فلا سبيل لهم في المضـــي والاستمرار بحربهم، بل إنهم سيتساقطون سريعا ويثبـــون كـــالجراد خوفـــا وضعفا.

وقد عبر الشاعر عن الرمح بلفظة (القنا)، إذ القنا: الأجوف من الرماح، وهو أجودها عند العرب؛ إذ أجودها "ما كان أصم غيـــر أجـــوف، مطـــردا، معتدلا ليس به اعوجاج، وفضلوا من ألوانه: الأحمر والأسمر؛ لأن كلا منهما يدل على الصلابة وتمام النضج"(١).

وتتجلى صورة الرماح السمر في قول دريد بن الصمة يوم غارتهم على فزارة، ممتشقين أسلحتهم بما فيها القنا السمر، حيث يقول(٢):

صَبَحنَا فَزَارَةَ سُـــمْرَ القَنَـــا فَمَهْلاً فَـــزَارَةَ لا تَضْـــجُرُوا

ويضفي دريد بن الصمة هالة مبالغة في فخره الذاتي، حتى إن وقع القنا على جسده وتأثره بإصاباتها لم تحجمه عن النفاذ والإقدام، حيث يقول(٣):

فَمَا رِمْتُ حَتَّـــى خَرَّقَتْنَـــيْ وَغودِرْتُ أكبُو في القَنَا المُتَقَصِّدِ

ويصف دريد بن الصمة مشهد الذعر الذي أصاب أعداءهم نتيجة وقـــع القنا الخطي، فجعلهم كقطيع الحمر الوحشية التي فاجأها صوت عال فأصابها الذعر والفزع، حيث يقول(٤):

---

(١) الجندي، علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ص١٤٢-١٤٣.
(٢) الديوان، ص٧٨.
(٣) الديوان، ص٤٨.
(٤) الديوان، ص١٢٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وَيَومَ طَعْنِ القَنَا الخَطِّيِّ تَحسَبُهُمْ عَانَاتِ وَحْشٍ دَهَاهَا صَوتُ

وتتجلى صورة القنا في مشهد اعتداد دريد بن الصمة بنفسه، حيث يقول(١):

فَقُولُوا لِمَنْ جَاءنِيْ بالخِدَاعِ وَرَاحَ بأَسري يجُرُّ الذُّيُولَا
يُبَارِزُنِيْ وَالقنَا شُرَّعٌ وَيَنْظُرُ يومًا عَلَيْهِ ثَقِيْلَا

صورة الدرع:

الدرع من أهم أسلحة الجاهليين، والدرع: لبوس الحديد، وتذكر وتؤنث، وهي تشمل السابغة والقصيرة. والغلالة التي تلبس تحت الدرع من ثوب أو غيره تسمى "الشليل" وقيل: هي درع قصيرة، كما أشار علي الجندي إلى أسمائها، ومنها: المِغْفَر، رَفْرَف الدرع، رَيْع الدرع، الغلائل، القتير، الدخاريص، مطاوي الدروع(٢). تتراءى صورة الدرع البيضاء محكمة الصنع المنسوبة لنسج داود في شعر دريد بن الصمة، كما أن عنصر اللون في الصورة الفنية "يوقظ الأحاسيس وينمي الشعور، ويبهر النظر، وهو إما أن يكون مثيرًا للعاطفة أو مهدئًا للنفس"(٣). حيث يقول(٤):

بَيْضَاءُ لا تُرْتَدَى إلاَّ لَدَى مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِيهَا المِسْكُ مَقْتُورُ

والسابغة من الدروع، هي: "التي تفيض على الأنامل، وتغشى البنان والكف والقد، وذيلها يجر على الأرض"(٥)، وتتراءى صورة هذا النوع منها في شعر دريد بن الصمة، وذلك في قوله(٦):

---

(١) الديوان، ص١٢٧.
(٢) الجندي، علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ص١٥٣-١٥٤.
(٣) طالوا، محي الدين (٢٠٠٠)، اللون علماً وعملاً، ط٣، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق، ص٥.
(٤) الديوان، ص٧٦. القتير: مسامير حلق الدرع.
(٥) الجندي، علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ص١٥٥.
(٦) الديوان، ص١٠١.

فَإِنَّكِ إِنْ سَأَلْتِ سَرَاةَ قَوْمِيْ إِذَا مَا حَرْبُهُمْ نَتَجَتْ فَصِيْلَا
أَلَسْتُ أُعِدُّ سَابِغَةً وَنَهْدًا وَذَا حَدَّيْنِ مَشْهُورًا صَقِيْلَا

ويصف دريد بن الصمة كتيبتهم كأنها السحب التي جلبتها الرياح حتى غطت السماء بوجهها، تلك السحب التي ستمطر أعداءهم بوابل من الطعنات مسمومة بدروع سابغة قد أحكم صنعها، حيث يقول[١]:

غَدَاةَ رَأَونَا بِالغَرِيْفِ كَأَنَّنَا حَبِيٌّ أَدَرَّتْهُ الصَّبَا مُتَهَلِّلُ
بِمُشْعَلَةٍ تَدْعُو هَوَازِنَ فَوقَهَا نَسِيْجٌ مِنْ المَاذِيِّ لِأُمٍّ مُرَفَّلُ

ويفخر دريد بن الصمة ببطولتهم ودرايتهم بفنون القتال وسياسة الخيل، حيث يقول[٢]:

مَتَى مَا تَأتِ نَادِيْنَا تَجِدنَا جَحَاجِحَةً خَضَارِمَةً كُهُولَا
وَشُبَّانًا إِذَا فَزِعُوا تَغَشَّوا سَوَابِغَ يَسْحَبُونَ لَهَا ذُيُولَا

ويجمع دريد بن الصمة بين الدرع المفاضة محكمة الصنع، وبين الحصان النهد المتمرس على ضجيج الحروب، حيث يقول[٣]:

قِرَاهَا إِذَا بَاتَتْ لَدَيَّ مُفَاضَةٌ وَذُو خُصَلٍ نَهْدُ المَرَاكِلِ

وتتراءى صورة الدرع على صدور الأبطال في الحرب، حيث يقول[٤]:

لا يَنْكِلُونَ وَلَا تُشوِي مِنَ الكُمَاةِ ذَوِي الأَبْدَانِ

(١) الديوان، ص١٠٣.
(٢) الديوان، ص١٠١.
(٣) الديوان، ص١٠٢.
(٤) الديوان، ص٣١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

صورة البيضة:

البيضة إحدى أدوات الحروب في العصر الجاهلي، وهي غطاء للرأس مصنوعة من الحديد يرتديه المقاتل على رأسه اتقاء وقع النبال، وضربات السيوف، وخطف الرماح والقنا. (١) وفيها القونس وهو مقدم البيضة؛ فإذا لم يكن في البيضة فونس سميت "تركة"، وقال ابن دريد: "سميت تركة تشبيهاً بتركة النعامة، وهي بيضتها إذا خرج منها الفرخ"، وفي البيضة الطرائق، ويقال لها الحُبُك، وهي خطوطها.

وتتراءى صورة القونس وهي البيضة التي تقي رؤوس المقاتلين وقع السهام وضرب السيوف والرماح، في قول دريد بن الصمة(٢):

تَقُولُ هِلَالٌ خَارِجٌ مِن إذا جَاءَ يَجْرِي في شَلِيْلٍ وَقَوْنَسِ

فهويرثي خالدا أخاه حينما يتزين بدرعه وقونسه استعداد لمنازلة الخصوم، مشبها إياه بالهلال الذي ينير بوجهه ظلماء السماء؛ تنزيها له عن ندٍّ قرين.

صورة السهم:

وحينما يعتد دريد بن الصمة بذاته فهو يستمد من صورة السهام المحكمة التي لا تنكس ولا تخذل رماتها، حيث يقول(٣):

وَمَا قَصُرَتْ يَدِي عَنْ عُظْمِ أَهُمُّ بِهِ وَمَا سَهْمِي بِنَكْسِ

وتتراءى صورة السهم أيضا في قوله(٤):

قَلِيْلَ البَتَاتِ غَيرَ قَوْسٍ وَأَبْيَضَ قَصَّالِ الضَّرِيْبَةِ

---

(١) انظر: الجندي، علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ص١٥٩.
(٢) الديوان، ص٨٧. القونس: أعلى بيضة الحديد، وقيل مقدم البيضة.
(٣) الديوان، ص٨٥.
(٤) الديوان، ص٥٨.

الخاتمة:

تقصت هذه الدراسة صورة البطولة في شعر دريد بن الصمة، وتوصلت إلى مجموعة من النتائج أهمها:

١- تجلت صورة البطولة في دريد بن الصمة ذاته، إذ كان أطول الفرسان الشعراء غزوًا، وأبعدهم أثرًا، وأكثرهم ظفرًا، وأيمنهم نقيبة.

٢- تميز شعره بصدق العاطفة والانفعال الوجداني في فخره ومدحه ورثائه، حتى إنه ليصور الأبطال وإن كانوا خصومه.

٣- شكلت الطبيعة الرافد الأصيل الذي استقى منه دريد بن الصمة، حيث استطاع من خلالها تقديم تجربته الشعرية دون تكلف أو عناء.

٤- حفل ديوانه بذكر الحروب وكل ما يتصل بها من سيوف ورماح ودروع وسهام وغيرها، حتى إنه لم يكتف بذكر المفردة صراحة بل يستعمل مرادفها للدلالة عليها.

٥- عمد إلى البناء التصويري لتقريب الصورة لذهن المتلقي، فكانت صوره شائعة مستوحاة من ثقافته وبيئته المحيطة، في حين كانت الأخرى مبتكرة أضفت على الصورة الشعرية معاني مبتكرة.

٦- استطاع دريد بن الصمة من خلال صوره البيانية أن يبرز شجاعته وقوته، وقد ساعده في ذلك ميله الواضح إلى المفاخرة التي كانت سمة بارزة في شعره.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المصادر والمراجع:

- إبراهيم، زكريا (١٩٧١)، مشكلة الحياة، مكتبة مصر، القاهرة
- إبراهيم، زكريا (د.ت)، مشكلة الإنسان، د.ط، مكتبة مصر، الفجالة، مصر
- ابن رشيق القيرواني(ت٤٦٣هـ)، (١٩٨١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، ط٥، دار الجيل، القاهرة.
- أبو الرب، ابتسام نايف صالح (٢٠٠٦)، صور الحرب وأبعادها الأسطورة في الشعر الجاهلي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس
- أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري(ت: ٢٧٦هـ)، (١٣٩٧هـ)، غريب الحديث، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، ط١، مطبعة العاني، بغداد.
- إدريس، سهيل، (١٩٥٩)، البطولة في الرواية العربية الحديثة، مجلة الآداب، العدد ١
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين (٢٠٠٢) كتاب الأغاني، تحقيق: إحسان عباس، إبراهيم السعافين، بكر عباس، ط١، دار صادر، بيروت
- أمين، فوزي (٢٠٠٤)، الشعر الجاهلي دراسات ونصوص، دار المعرفة الجامعية، مصر
- الجرجاني، عبد القاهر(١٩٨٧)، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضا، د.ط، دار المعرفة، بيروت
- الجشمي، دريد بن الصمة (د.ت)، ديوان دريد بن الصمة الجشمي، جمع وتحقيق وشرح: محمد خير البقاعي، دار قتيبة
- الجندي، علي (د.ت)، في تاريخ الأدب الجاهلي، دار المعارف، القاهرة

- الجندي، علي(١٩٦٦)، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة.
- الحوفي، أحمد محمد (١٩٥٢)، الحياة العربية من الشعر االجاهلي، ط٣، مكتبة نهضة مصر، القاهرة
- الخواجا، زهدي صبري (١٩٨٤)، الجانب الخلقي في الشعر الجاهلي، ط١، دار الناصر، الرياض
- الرباعي، عبد القادر (١٩٨٠)، الصورة الفنية في شعر أبي تمام، جامعة اليرموك، ط١، الدراسات الأدبية واللغوية، الأردن
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني(ت١٢٠٥هـ)، (١٩٦٦) تاج العروس في جواهر القاموس، ١٠ أجزاء، دار ليبيا، بنغازي، مادة (بطل).
- سركيس، إحسان (١٩٧٩)، مدخل إلى الأدب الجاهلي، دار الطليعة، بيروت
- الشايب، أحمد (١٩٧٣)، أصول النقد الأدبي، د.ط، دار النهضة المصرية، القاهرة
- صبح، علي (د.ت)، الصورة الأدبية تاريخ ونقد، د.ط، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة
- طالوا، محي الدين (٢٠٠٠)، اللون علماً وعملاً، ط٣، دار دمشق للطباعة والنشر، دمشق
- عباس، إحسان (١٩٨٧)، فن الشعر، ط٤، دار الشروق، عمَّان
- عبدالرحمن، عفيف (١٩٨١)، المثل والقيم الأخلاقية في الشعر الجاهلي ، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ،٤٠(١١-١٢)
- عصفور، جابر أحمد (٢٠٠٣)، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، ط١، دار الكتاب المصري، القاهرة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

- علي بن سليمان بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر (١٩٩٩)، الاختيارين، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.
- القيسي، نوري حمودي (١٩٨٨)، البطل في التراث، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد
- المجذوب، محمد مهدي (١٩٨٥)، البطولة كما يصورها الأدب الجاهلي، مؤتمر الأدباء العرب، الدورة الرابعة، الكويت ٢٠-٢٨ ديسمبر
- مكاوي، عبد الغفار (١٩٨٧)، قصيدة وصورة- الشعر والتصوير عبر العصور-، (د.ط)، عالم المعرفة، الكويت.
- منصور، المعتز بالله حمدي (٢٠١٠)، البطولة في الشعر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، الأردن
- يونس، عبد الحميد (١٩٥٩)، البطولة في الأدب الشعبي، مجلة الآداب، العدد ١

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٣١٧٣
٢-	Abstract	١٣١٧٤
٣-	المُقدَّمة	١٣١٧٥
٤-	التعريف بدريد بن الصِّمَّة وبعض أخباره	١٣١٧٦
٥-	مفهوم الصورة الفنية وأهميتها:	١٣١٧٨
٦-	أهمية المصادر للصورة الفنية:	١٣١٨٠
٧-	صورة الحرب:	١٣١٨١
٨-	صورة البطولة والأبطال:	١٣١٨٥
٩-	صورة الربيئة:	١٣١٨٨
١٠-	صورة الغارة:	١٣١٨٩
١١-	صورة السيف:	١٣١٩١
١٢-	صورة الرمح:	١٣١٩٤
١٣-	صورة الدرع:	١٣١٩٨
١٤-	صورة البيضة:	١٣٢٠٠
١٥-	الخاتمة:	١٣٢٠١
١٦-	المصادر والمراجع:	١٣٢٠٢
١٧-	فهرس الموضوعات	١٣٢٠٥